نظرية الربط الأكيد في القرآن

دراسة جديدة تستهدف اكتشاف الأساس الموضوعي لسير وسلوك أسمائي في القرآن

تأليف

وسام محمد القرشي

نَظَرِيَّةُ

الرَّبْـــطِ الأَكِيــدْ

في الـقــرآن

دراسة جديدة تستهدف اكتشاف الأساس الموضوعي لسير وسلوك أسمائي

في القرآن

تأليف

وِسَـــام مُحَمَّد القُرَشِــــيّ

((ومـــن الحجـــب الأخـــرى الحائلـــة دون الاســـتفادة مـــن الصـــحيفة الإلهيـــة المقدســـة ، الاعتقـــاد بعـــدم تجـــاوز مـــا كتبـــه المفـــسرون او فهمـــوه عـــن القـــرآن الكريم))

الإمام روح الله الخميني (قدس سره)

. نقلا عن دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن الكريم ، محمد علي الرضائي ، ص ١٩٥ .



((ولعلّ كون القرآن كتاب القرون والأجيال لا تنقضي عجائبه يلازم قبول هذا النوع من التفسير الاجتهادي ، ولأجل ذلك لم يزل كتاب الله طريّاً في غضون الأجيال لم يندرس ولم يطرأ عليه الاندراس، بل هو طريّ ما دامت السماوات والأرض ، ولازم ذلك وجود معارف وحقائق في القرآن يهتدي إليها الإنسان بالتعمّق في دلالاته اللفظية : المطابقية والتضمنية والالتزامية ، وإن كان السلف في الأعصار الماضية غافلين عن هذه المعاني ، ولعلّه إلى ذلك يشير الصادق- عليه‌السلام- في جواب من سأله أنّه ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلاّ غضاضة بقوله : « لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس ، وهو في كلّ زمان جديد ، وعند كلّ قوم غض إلى يوم القيامة »))

المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، الشيخ جعفر السبحاني ، ص ٦٨

مُقَدِّمَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد :

فلا يخفى أن القرآن الكريم هو كتاب هذه الأمة .. وهو بالتالي المرجع الذي تستمد منه هذه الأمة قوّتها وقوامها وكيانها ووجودها .. وهو معها في كل الميادين من حيث أنه هو الموجّه وهو المرشد وهو المدير .. ميادين

تموج بالأحداث والوقائع والتطورات .. نعم ولكي ندرك حقيقة ما فيه من دستور ونهج وتشريع .. ينبغي أن نستحضر أمامنا أهداف القرآن بفهم من داخل القرآن نفسه .. نستحضرها ونحن نتحرك في واقع الحياة بالصميم.

ومن ثَمَّ سنمضي في استعراض رؤية جديدة تقف على المعالم البيّنة لمنطق فهم القرآن ، على أن هذه المعالم متّحدة مع معالم أُخرى أشار إليها رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – حيثُ قال : (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا :كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض)[1] ، وكما أن شرط الله قائم .. كذلك فإن السبيل إليه معروف .

فما بين يديك .. محاولة جديدة لإنشاء تلك المعايير والمعالم لفهم الآيات القرآنية من خلال مدلول اللفظ العربي القرآني .

وكانت هذه المحاولة مقتصرةً على نَـزْرٍ من الإشارات التي كانت بطبيعتها عبارة عن عمليةٍ قراءةٍ مُنسَّقة لدلالات الآيات المباركة طبقاً لتفسير القرآن بالقرآن .

ولقد شرعنا في تفسير سورة الحمد طبقاً لمسلك معالم هذه الرؤية .. كأنموذج .

[1]) - وسائل الشيعة ، ج ٢٧ ، ص ٣٤

و كثيراً ما تستند هذه النظرية على ركائز التحليل اللفظي البحت ، وعلى هذا الأساس يكون البحث بحثاً أدبيّاً وعلميّاً متمشيّاً على حدود معطيات القرآن الكريم .

وإني لأعتـــذر إلى القـــارئ الكـــريم لعـــدم استفاضـــتي في البحث ، وذلك لئلا نخرج عن لوازم المنهج والموضوع .

وَ مـــا تَوْفِيقي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيـــهِ تَوَكَّلـــتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيْبُ .

وســـام محمد القرشـــي

كربلاء المقدسة

Plwg222@gmail.com

٢٧/ رجب /١٤٤٢هـ

٣/٩ (آذار) /٢٠٢١م

الفقر الوجودي في القرآن □

قد تقرّر في الحكمة الإلهية أن افتقار الممكن الى العلة من الأشياء البديهية ، فلا يحتاج التصديق بها إلى شيء آخر في البين ، بل يكفي تصور الموضوع والمحمول مع نسبة المحمول للموضوع للتصديق بها .

وكما أنّ الممكن مفتقر إلى العلة في وجوده ، كذلك هو مفتقر إليها في بقائه ؛ لأن حاجة الممكن إلى العلة ناشئة من إمكانه – كما تقرر – وإمكانه ملازم لماهيته لا ينفك عنها .. ولأن وجود الممكنات وجود رابط ، وهو وجود قائم بغيره لا بنفسه ، متعلق الذات بسواه ، متقوِّم بغيره .

فلا نحتاج – إذن – أن نبرهن على وجود هذا الربط الفقري البديهي للوجود الممكن بالنسبة إلى وجود علته المفيضة لوجوده، على أن هذا الربط كما أنه من بدء التكوين والوجود، كذلك هو باقٍ ببقاء الممكن ؛ لما أنّ وجود الممكن بحد ذاته وجود رابط مقوَّم بغيره .

هذا من حيث النظرة العامة للفقر الوجودي بالنسبة إلى الممكن .. إذن هي شاملة لجميع الخلائق .

وحينما نتلوا الآيات على غرار هذا المعنى نجد أمامنا قوله – تعالى – : ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [1] .

ولكن لماذا قصر الفقر في الناس مع أنَّه شامل لجميع الخلائق؟ .

[1]) - فاطر : ١٥ .

فقد يكون المعنى ظاهر في كون (عموم علة الحكم يعمّم الحكم) كما ذكر ذلك العلامة – قدس سره – حيث قال : ((فيعود معنى الكلام إلى نحو من قولنا: يا أيها الناس أنتم بما أنكم مخلوقون مدبرون لله الفقراء إلى الله فيكم كل الفقر و الحاجة و الله بما أنه الخالق المدبر، الغني لا غنيّ سواه.

وعلى هذا لا ضير في قصر الفقر في الناس سواء أريد به المكذبون خاصة أو عامة الناس مع كون غيرهم من المخلوقات فقراء إلى الله كمثلهم و ذلك أن عموم علة الحكم يعمم الحكم فكأنه قيل: أنتم معاشر الخليقة الفقراء إلى خالقكم المدبر لأمركم و هو الغني الحميد)) [١] .

لكن الأظهر أن يكون المعنى محدّداً بالنظر إلى كون الإنسان هو الموضوع لأحكام التقوى والهداية والإيمان في القرآن ، وكون الاقتصار والانحصار في صفة الفقر بمعنى أنه مفتقر افتقاراً خاصّاً إلى تدبير ربوبي من ناحية إفاضة التشريع والتقنين ، فهو ليس الفقر بالنظر الفلسفي الآنف الذكر ، وإن كان الثاني فرع من الأول .

وأمثال هذا كثير .. من قبيل المعية مثلاً ، فإن الله معهم لا بمقارنة[٢] .. ومعهم أينما كانوا .. ومعهم إذا صبروا .. ومع الذين اتقوا ... فما هو الفرق بين معيته للخلق جميعاً ، وبين معيته لخصوص الذين اتقوا من الناس ، والذين هم محسنون ؟ .

---

[١]) - الميزان في تفسير القرآن ، العلامة الطبأطبائي ، ج ١٧ ، ص ٣٤ .

[٢]) – هذه الفقرة في نهج البلاغة ، الخطبة الأولى .

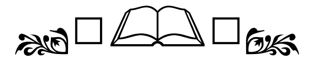
ومن الدليل على أن هذا الفقر غير ذاك قوله – تعالى – : ﴿ وَ اللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ ﴾[1] .

فإن الدليل على المفارقة واضح في إيحاء الخطاب ، حيث أنّ قوله – تعالى – : (وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا) ناظر إلى مقام التشريع ، وهو يخصُّ هذا الجمع من الناس بعد ما ذكر من المقابلة بين الغنى والفقر ، إذ لو كان المعنى على غرار غني عن العالمين لما كان وجه لجعل المقابلة ، هذا مع غض النظر عن قصر الفقر في المخاطب أيضاً .

وعلى هذا فالفقر فقران :

فقر تكويني ، وفقر تشريعي .

وفي قِبال ذلك ، ينقسم الوجود الممكن الى ما وجوده فعليٌّ ، وما وجوده إنفعاليٌّ ، وما كان وجوده إنفعاليّاً فهو الموضوع لأحكام القرآن ومقاصده ، كما سيجيئ توضيح ذلك إن شاء الله تعالى .



[1]) - محمد ص : ٣٨

وربك الغني ذو الرحمة

بعد الإشارة السابقة إلى كون النظر تارةً يعمّ بسيطة عالم التكوين كله ، وتارةً أخرى يقتصر على خصوص حصة خاصة من الخلق لانفرادهم بإفاضات تفاض إليهم طبقاً لسنن لا تبديل لها ولا تحويل ، بعد ذلك نعلم إجمالاً بوجود مفارقة في البين .

فقوله – تعالى –: ﴿ وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾[1] .

ليس يخفى ما في كلمة (وربُّك) من إشارة إلى التدبير والتقنين بعد وصفه بالغنى الذي يشير إلى فقر المخلوق بطريقة الملازمة بين الغني والفقير بأصل الوجود ، ومن بين هذه التأمّلات ، نجد أن الرحمة هي التي أُفيضت على الفقير بعد ما ذُكِرَ من معنى الربوبية والتدبير صراحة .

وبعبارة أخرى : أن لفظ (ربك) يقتضي أصل معنى التدبير بصريح معنى اللفظ ، وأنه منعوت بنعتين : (الغني وذو الرحمة) ، وأن الاسم الغني اسم ذات ليس فيه حيثية إفاضة ، فتنحصر الإفاضة بالنعت (ذو الرحمة) .

فقد ترشح اسم لمقتضى أصل الربط وهو الاسم (الغني) وذلك لربط الفقير بالغني .. من جهة .

---

[1]) - الأنعام : ١٣٣

ثم تعيّن اسم كان رابطَ إفاضةٍ بأصل الربط ، وهو النعت (ذوالرحمة) .. من جهة ثانية .

وعلى هذا يكون مقام الرحمة رابطاً للفقير بالغني .

ثُمَّ بيّن – سبحانه – رحمته تلك في مواضع أُخرى، قال : ﴿ وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ﴾[1] ، وقال – سبحانه – : ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ . قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[2] ، وقال – جلّ شأنه – : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[3] .

ونعلم هنا أن الله – تعالى – من حيث أنّه ربٌّ غنيٌّ أفاض الرحمة بإرسال رسله وجعل لها البقاء بأنبيائه ثُمَّ وتّد بالأئمة ميدان أرضه .

وفي هذه الحالة تبقى الرحمة على لفظها ومعناها دون تصرف أو تصريف ، وبذلك يكون معنى الاسم (الغني) – باعتبار تناسب مادة الاشتقاق بين الرحمة ومرسلها – هو (الرحمن) ، فيكون تقدير المعنى كالتالي : [ربكم الله – **هو–** الرحمن ذو الرحمة] .

وقد جاءت الرسالة الالهية مبتدئة ومفتتحة بأصل هذا المعنى كعنوان لربط المرسَل إليه بالمرسِل من خلال الرسول والرسالة ، على حدِّ قوله – تعالى – : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ .

---

[1]) - الأنعام : ١٠٧

[2]) - يونس : ٥٧ – ٥٨

[3]) - آل عمران : ٤٧

وليس يخفى ما لاسم (الرحمن) من تطابق مع الاسم الغني في لسان القرآن، فإنه من الممكن أن يؤخذ بالقياس إلى أصل الخلق ، كقوله – تعالى – : ﴿الرَّحْمنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسانَ ﴾[1]. فخلق الرحمن للإنسان ناظر إلى أصل الفقر الوجودي حدوثاً وبقاءاً .

كما أن الاسم (الرحمن) يؤخذ بالقياس إلى أصل التدبير كقوله – تعالى – : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ﴾[2] .

كذلك يؤخذ بالقياس إلى إفاضة التشريع كقوله – تعالى – : ﴿وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾[3] .

وانظر إلى أن الجدير بالاهتمام هنا ، هو أن مقام النبوة كأصل من أصول الدين إنما انتزع مفهومه من مقام الاسمين (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) .

وهذا يعني أن الارتباط بأصل النبوة هو بالحقيقة ارتباط بمقام الاسمين (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) .

على إنك ستجد أن أصول الدين جميعاً هي عبارة عن إفاضات من الرحمن بواسطة أسماء الأفعال ، وأنّ كل مسمّى من الأصول يرتبط باسم طبقاً لحيثية إفاضته، وبالتالي يرتبط الإنسان المؤمن بالأسماء الحُسنى ارتباطاً حقيقياً بكلِّ حركة وبكل نأمة .

وستعلم على ضوء ذلك أنه ما من سالكٍ إلى الله – سبحانه – إلا وترتبط أعمالُه وأفعالُه بأسماء الله – عزوجل – التي هي عين الذات المقدسة .

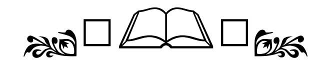
---

[1]) - الرحمن : ١ ، ٢ ، ٣

[2]) - طه : ٥

[3]) – الشعراء : ٥

وهذا المقام هو أعلى ما يعتبره أهل العرفان في عرفانهم ، وهو قاعدة أن لا وجود لغيره – تبارك وتعالى – ، وأنّ باقي الموجودات هي موجودات ظليّة تبعيّة ليس لها استقلال بحال من الأحوال – لا حدوثاً ولا بقاءاً – إلّا باستقلال علة العلل، وهو الله تبارك وتعالى .



قوله - تعالى : الحمد لله رب العالمين .

الفرق بين الحمد والمدح .

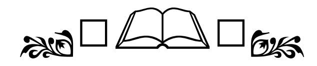
اعلم أنّ الحمد يتناول الذات بما هي ذات ، وإذا تناول الصفات فباعتبارها كمالاً للذات فعلّة الحمد هي الذات . وأمَّا المدح فيتناول الصفات صميماً ، وإذا تناول الذات كان بالعرض ؛ لأن الذات محل الصفات، فعلّة المدح هي الصفات. فالحمد ذاتيّ، والمـدح صفاتيّ .

وأمّا الشكر .. فأفعاليّ .

وقد يكون هناك اشمام في معاني الألفاظ :

فالحمد لله الذي لا إله إلّا هو .. حمد .

والحمد لله الذي هدانا لولايته .. شكر .



ما هي الرابطة بين العلة والمعلول

من وجهة نظر فلسفية .

أشرنا فيما سبق إلى ما قرّره الحكماء في محله ، من أنَّ المعلول محتاج إلى العلّة، وكون هذه الحاجة من الضروريّات الأوّلية التي يكفي في التصديق بها مجرد تصور موضوعها ومحمولها ، إذ الإستواء بين الوجود والعدم ، يقضي بكون العلة هي التي اخرجته من حالة الإستواء إلى الوجود ، وهو على كل حال وجود رابط لا الاستقلال له إلّا باستقلال علته لفقره وفاقته .. وكل ما يتحصّل له ومنه فإنّما يتحصل بوجود علته و بترشّح ألطافها .

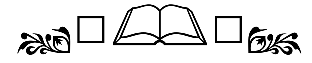
و تقرّر - أيضاً - أنّ علة احتياج الممكن إلى العلة في حدوثه هي نفس احتياجه إليها في بقائه ؛ لإمكانه اللازم لماهيته ، وهي معه في حال البقاء كما كانت معه في حال الحدوث ، فهو مفاض عليه في الحالين جميعا . ويتحصّل أنّ الربط هنا بين العلة والمعلول يفهم من الفقر الوجودي للمعلول وأنّ وجود المعلول وجود رابط لا استقلال له بحال من الأحوال .

وكل ما تحصّل ...كان تمشّياً مع البراهين التي تقضي بكون الوجود هو الموضوع للأحكام حقيقةً لأصالتهِ لا بالنظر إلى الماهيات والمفاهيم باعتبار العقل.

ويظهر مما تقدم أنّ وجودات المعاليل وجودات رابطة بالنسبة إلى عللها.. وهي جميعاً وجودات محمولية مستقلة ، تختلف حالها بالقياس إلى عللها وأخذها

في نفســها ، فهــي بالنظــر إلى عللهــا موجــودات رابطــة ، وبالنظــر إلى نفســها موجودات مستقلة[1] .

هذا ما قرّروه حول ربط الوجود الفقير بالوجود الغني ، وكيفية تعقّل معنى الوجود الرابط بين الاستقلال وعدمه ، والخلاصة هي أنّ المعلول وجود رابط لا استقلال له إلّا باستقلال علة العلل ، وهو الله تبارك وتعالى .



[1]) - بداية الحكمة ونهاية الحكمة ، السيد محمد حسين الطبأطبائي (قدس سره) ، بتصرف .

ما هي الرابطة بين العلة والمعلول

من وجهة نظر قرآنية .

قــــال الله - تعــــالى - : ﴿ لِلَّهِ مـــــا فِي السَّـــــماواتِ وَ الأَرضِ إِنَّ اللَّهَ هُــــوَ الغَنِيُّ الحَميدُ ﴾[1] .

بالنّظــر الــدّقيق إلى مــورد الاسمَــيْن المبــارَكَيْن (الغــني الحميــد) في القــرآن الكــريم ، نجــد أَنّ هنــاك خصوصــيَّة مشــتركة فيمــا بينهمــا ، حيــث أَنّهمــا يقـترنان في جـوٍّ هـذه الخصوصـيَّة ، ويكـون هـذا الاقـتران في محـالٍّ متشـابهة وفي أجواء متناسقة .

فَلْنَنَظــر إلى هـــذا الاقـــتران ولْنُـــنْعِم النظــر فيــه كمــا أنْعمْنـــا النظــر في اقـــتران الرحمـــة بالغـــنى ، وكمـــا عرفنـــا هنـــاك أنّ الرحمـــة قـــد جـــاءت في طول صفة الغنى ، فقد يكون الأمر كذلك ، وهو الصحيح .

فنقول :-

إنّ هذا الاقتران مشابهٌ لحاصل العلاقة بين صفتي الرحمة و الغنى ، وأن صفة الحمد جاءت في طول صفة الغنى ، إلّا أنّ هناك فارق في البَيْن ، وهو أنّ علاقة صفة الرحمة بصفة الغنى علاقة في العمود النازل ، فالرحمة تنزل وتفاض من الغني جلت قدرته .

وأمّـا علاقـة صـفة الحمـد بصـفة الغـنى فهـي علاقـة في العمـود الصـاعد ، فالحمد صاعد من الفقير إلى الغني .

[1]) - لقمان : ٢٦

ولا يُتعقّل أن يكون هناك شيء يصعد من الفقير إلى الغني ، أو يباشره ، أو يزيد في خزائنه أو مشاكل ذلك ؛ لأنه يفضي إلى انفعاله – عزوجل – في قبال الأحياء والأشياء ، تعالى الله عن ذاك علواًكبيراً ، فلا يبقى معنى لذاك الصعود إلا معنى التعلق والتمسك من قبل الفقير بخزائن جوده وكرمه وفضله جلّت عظمته .

فإذا كان الأَمر على هذه الصورة ، وكان الفقير له هذا التعلّق ، كان من الحتْم أنْ لا يشذّ من هذا التعلق فقير أبداً ؛ – لأنّهم مشتركون في أمر واحد وهو الفقر – ولأنّه باعتبار أنه تعلق فهو منظور إليه من حيث الفقر لا محالة ، وإذا كان النظر من حيث الفقر كانت هذه الخاصية موجودة في مطلق الوجود الممكن ، فيكون الحمد في الفقير صاعد من جميع مراتبه وحصصه الوجودية .

واعلم أن هذا الحال يلتحق بالأمر التكويني غير القابل للتخلف ولا الإختلاف ، أيْ :أنّ الفقير – على هذا الأساس – مُتقوِّم ومتأصل بـ {**الحمد**}، وأنّ {**الحمد**} منه و فيه عَيْن أنّه متعلق النفس الموجودة بالوجود الغنيّ، وهذا الحمد على ما يظهر أنّه في صميم الموجود الفقير ، وهو حمد رابط للموجود الفقير بعلّته حدوثاً وبقاءاً ، إذْ لا يستقيم للموجودات الفقيرة شأن من شؤونها أبداً إلّا بالتسبيح بحمده – جلّتْ عظمتُه – على حَدِّ قوله – عز وجل -: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾[1]، وقوله – تعالى -: ﴿ وَ الْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[2]، وقوله –

---

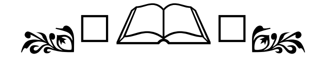
[1]) - الرعد : ١٣

[2]) - الشورى : ٥

تعـالى -: ﴿ يَـوْمَ يَـدْعُوكُمْ فَتَسْـتَجِيبُونَ بِحَمْـدِهِ ﴾[1] ، وقولـه – تعـالى -: ﴿تُسَـبِّحُ لَـهُ السَّـماواتُ السَّـبْعُ وَالْأَرْضُ وَ مَـنْ فِـيهِنَّ وَ إِنْ مِـنْ شَـيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْـدِهِ وَلكِـنْ لا تَفْقَهُـونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّـهُ كـانَ حَلِيمـاً غَفُـوراً ﴾[2]، إلى غـير ذلـك مـن الآيات الـتي تُسـند اتكـاء وجـود الموجـود الفقـير – حـدوثاً وبقاءاً – إلى لوح التسبيح بحمـــده -جلَّتْ عظمتُه – ، فتأمل .

وهـذا المقـام – وهـو التسـبيح بحمـده – هـو الأصـل الـذي يقـوم عليـه ، ويتقـوَّم بـه الوجـود الفقـير ، بمعـنى أنّـه لا يسـتقيم للموجـودات شـأن مـن شؤونها إلا بالاتصال بهذا المقام وهو التسبيح بحمده تبارك وتعالى .

وصـدور هـذا الحمـد مـن الممكـن الفقـير في حالـة التسـبيح صـدور تكـويني بلبـاس الطاعـة والانقيـاد التّـامّ ، وجـيء بالفعـل مضـارعاً للدلالـة على البقاء والثبات .. فهم لا يفتأون يسبحون بحمد ربهم لا يفترون .



[1]) - الإسراء : ٥٢

[2]) - الإسراء : ٤٤

الوجود الممكن فعليّ وانفعاليّ .

قـال الله – تعـالى –: ﴿ يا أَيُّهَـا النَّـاسُ أَنْـتُمُ الْفُقَـراءُ إِلَى اللَّـهِ وَ اللَّـهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[1] .

اعلم أن قوله – تعالى –: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ وإن كان هو من الحمد بصورته العامة ، ولكن قد أُخِذَ فيه إضافة (رَبِّ الْعالَمِينَ) كقَيْد ، وهذا القيد قيد جديد في موضوع الحمد ، فقد جاء الحمد لا بوصفٍ مطلق ، بل جاء بخصوص الربوبية للعالمين ، والغرض من هذا التقييد أن يدخل القيد في قصد الحمد .

وإذا علمت هذا الأمر ، ونظرت الى الآية (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) التي هي بعدها .. وجدت أنّ دائرة القيد قد ضاقت درجة أُخرى ، أي : أصبح الحمد صاعداً من الفقير الى الله الرحمن الرحيم ، وقد عرفنا من تحليلنا للآية (بسم الله الرحمن الرحيم) أن مقام الرحمة – هنا – هو : {مقام الرسول وأهل بيته – صلوات الله عليهم أجمعين –} ، أي : تشير الآية إلى الرسالة والنبوة والإمامة ، وكل هذه المعاني قد تقدمت ، وهنا نعرف أن الحمد صاعد من الفقير إلى الله الغني [الرحمن] المرسل للرسول بالرسالة .

---

[1])- فاطر : ١٥

وقلنا أنّ الحمد الصاعد إنّما يُتعقّل صعوده إلى الله الغني [الرحمن] – عزوجل – إذا كان بمعنى التعلق بخزائن جوده وكرمه وفضله .

وإذا التفتّ إلى هذا الموضوع جيداً ، وتأملتَ فيه ، وإذا دقّقت النظر فعلاً .. تجد أنّ هذا الحمد الصاعد من الفقير ليس هو ذلك الحمد الذي يربط الفقير بالغني بأصل الوجود حدوثاً وبقاءاً ، فالربط بالمرسِل والرسول والرسالة ، غير الربط بالخالق في أصل الوجود .. وهذا يضطرنا إلى القول بوجود شُعبتين من الحمـــد :

۞ **حمدٌ عام** ، وهو : حمد صاعد من الوجود الفقير رابط له بعلته المفيضة لوجوده حدوثاً وبقاءاً .

۞ **وحمدٌ خاص** ، وهو : حمد صاعد من الموجود الفقير [الخاص] رابط له بعلته الحكيمة المدبرة المشرعة .

إذن هناك نوعان من التسبيح :

تسبيح عام تكوينيّ .. صادر من الموجود الممكن رابط له بعلّته المفيضة لوجوده .

وتسبيح خاص تشريعيّ .. صادر من نوع خاص وحصة خاصةٍ من الوجود الفقير رابط له بعلته الغنية من حيث أنها مشرّعة ، فهو ربط خاص بالحمد من الفقير إلى الغني وهو الله [الرحمن ، الرحيم، مالك يوم الدين] تباركت أسماؤه .

ونستلهم مما سبق أنّ لله خزائن كل شيء على حدّ قوله – تعالى –: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾[1]، فهذه

[1]) - الحجر : ٢١

الخزائن غير خارجة عن صقع الوجود، كما أن جميع الموجودات قد استوفى قدره المعلوم تماماً وكمالاً ؛ لأنّه مادام الأمر يسير بسنن الله وقوانينه إذن لاتخلّف هناك ولا اختلاف .

إذن كلّ مخلوق قد استوفى ما يلزمه في حدوثه وبقائه بطبيعة جريان تسبيحه بصورةٍ تكوينيّة لا تقبل التحويل ولا التبديل ، فليس هناك حيثية نقصٍ ... ذلك تقدير العزيز العليم .

واعلم إنّ هذا المخلوق الذي تحصّل بالخارج باستيفاء ما يلزمه بقدرٍ معلوم، و كان قد وصل إلى تمامه وكماله وهو يسير لمستقرٍّ له ذلك تقدير العزيز العليم .. له حصص كثيرة متحصّلة بالخارج، كلها تسبح بحمد ربها (بالتسبيح العام)، لا يشذّ من ذلك حصة موجود قطّ . ولنصطلح على هذه الحيثية للوجود بـ (**الوجود الفعليّ**) .

ومن هذه الحصص الكثيرة المتكاثرة : حصة يختلف وجودها عن باقي الموجودات الفقيرة ، وهذا الاختلاف حاصلُ ما لزمه وجودُها بقدره المعلوم ، فإنّها قد استوفت بتسبيحها العام ما استوفت من تمامٍ وكمالٍ ... لكن ما استوفته خصّها وحْدَهُا دون غيرها بعناصر صيّرت وجودها (**انفعاليّاً**) يقبل الشدة كما أنّه يقبل الضعف ، فهذا الوجود الخاص كان يحمل طابعاً في حاقِّ نفسه ، يقبل إمكان الاشتداد كما أنه يقبل إمكان التضعّف ، وقبول الشدّة والضعف معناه : أنّ هذا الوجود بخاصة وفي حاقِّ نفسه ينفعل بفعل الأفاعيل ، فتتحصّل الشدّة أو يتحصّل الضعف في الوجود وبالوجود، وهما سبيلان وهو يسلكُ سبيلاً واحداً لا محالة ، وهو في الحالتين مسؤول كما أنه مختار .

الرحمة عامة وخاصة .

كثيراً ما يتوارد هذا السؤال : ما هو الفرق المعنوي بين الاسم (الرحمن) والاسم (الرحيم) ؟ ، وما هو موجه استعمالهما بعد معرفة أنّ الاسمين من نفس المادة من حيث الاشتقاق ؟ .

وأجود ما وصلنا هو قول الإمام الصادق – عليه السلام – ، ففي الكافي والتوحيد وتفسير العياشي عن الأمام الصادق – عليه السلام – في حديث : (والله إله كل شيء ، والرحمن بجميع خلقه ، الرحيم بالمؤمنين خاصة)[1].

ويلاحظ أن هذا المقام غير خارج عن كون تعدد المعنى يلزم منه تعدد الارتباط أو تنوعه بتنوع شؤون المفاض عليه ، والعكس بالعكس، فتأمل..

على أن من الخلائق من يقبل الرحمة ، ومنهم لا يقبلها ولا يتقبلها لعدم السنخية بينهما ، أو اضمحلالها وتلاشيها ..لذا كان هناك مفارقة كبيرة جداً في الآيات بين وساعة رحمة الله – سبحانه – [وهي الرحمة العامّة] وبين كتابتها للذين يتقون [وهي الرحمة الخاصة] .

[1]) – الكافي ج ١ ص ١١٤

إذن انقسام الرحمة إلى عامة وخاصة ، انقسام — بالأصل — للنفس الإنسانية الى قابلة وطاردة بحسب الوجود ؛ لأن الأمر حقيقي بالوجود وفي الوجود .

فبالنظر إلى نشر رحمته – تعالى – إلى الكافر والمؤمن كانت عامة ، وبالنظر الى إفاضتها لمن قبلها وتقبلها.. كانت خاصة ، على حد قوله – تعالى : (وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) .

واعلم أن التناسق الجميل الدقيق في تركيب كل آية هو من أسمى مشاهد الفن بعد إحاطة كيانها بالحقيقة التي تنعكس على زوايا حية ومهمة من زوايا الحياة ، ثم تختم ذلك أو قل تربطه باسمٍ أو اسمين من أسمائه – تعالى – ، كظاهرة اختتام بعض الآيات باسمين من أسمائه .

فانظر إلى أنه كثيراً ما تختتم الآيات القرآنية بذكر عموم قدرته — تعالى — أو بذكر اسمين من أسمائه – تعالى – ، ولابدَّ أن هناك سراً في هذا الاختتام يلوّح إلى ارتباط وثيق بين مضمون الآية وبين ما ترمز إليه الأسماء الحسنى من وصل وربط .

انظر – مثلاً – إلى الاسم (الرحيم) في ختام بعض الآيات وهو يزدوج مع اسم آخر من أسماء الله تعالى ، وهذا الازدواج والاصطحاب بين الاسمين له علاقة وثيقة جداً بمعطيات الاية الكريمة التي تضم الاسمين الكريمين وهو ظاهر.

ثم انظر إلى الاسم (الرحيم) – تارةً أخرى – من حيث ما تقدّمه من أسماء.. تجد أن الأسماء التي تقدمت عليه ستة .. (**الرحمن الرحيم، العزيز الرحيم** ، **الغفور الرحيم** ، **الرؤوف الرحيم** ، **البر الرحيم** ، **التواب الرحيم**) .

شيء من التحليل :

باعتبار أن الاسم (الرحمن) أعمُّ الأسماء جميعاً ، على حد قوله – تعالى –: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى ﴾ [1] ، فالاسم (الرحمن) باعتبار الأعمية فهو موجود بوجود الاسماء على اعتبار أن الاسم الأخص بمثابة قسم من أقسام الأعم ، فهو هو لكنه بحيثية الأخص ، فالمعنى الأخص يشكل بدوره وحدة من وحدات المعنى الأعمّ ، فيكون الاسم الرحمن متقدم رتبة على الأسماء الخمسة الباقية ، وبهذا الاعتبار تكون هذه الأسماء في طوله لا في عرضه، فاحتفظ بهذا القدر .

وعلى هذا يكون حاصل الأسماء (**خمسة**) بعد الاسم (الرحمن) وقبل الاسم (الرحيم) .

فأمّا الأول وهو الاسم (**الغفور**) ، فالمغفرة : من غفر وهو التجاوز عن الذنب ، فتكون بهذه الحالة هي : عملية اخراج آثار الذنوب من النفس .. ،

[1]) - الإسراء : ١١٠

(وبتصور هذه العملية نعرف أن الاستغفار يربط الإنسان بالله من حيثية الاسم (الغفور)) على ما تقدم من أن العمود الصاعد إنما يتعقل إذا كان على نحو التعلق بمناهل فيضه وكرمه وعفوه وغفرانه .

وأما الثاني وهو الاسم (**العزيز**) ، العزة : المِنعة والقوة والغلبة ، والعزيز الغالب الذي لا يقهر ، وعلى قاعدة الاستغفار يكون الاستعزاز ، فتكون العزة بهذه الحالة هي : عملية جعل النفس في سورٍ قوي يحيط بها ويمنع الذنوب من أن تدخل ميدانها ،.. (وبتصور هذه العملية نعرف أن الاستعزاز بهذا المعنى يربط الإنسان بالله من حيثية الاسم (العزيز) ، على حد قوله – تعالى – : ﴿ وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]) .

ويرجع الثالث وهو مقام الاسم (**التواب**) الى تاب وهو : بمعنى استغفر وغفر ، وكذا هي بمعنى الرجوع الى أصل الطريق المستقيم ، والتوبة إنّما تكون بنحو الاستعداد لتفريغ النفس من آثار الذنوب ، فهي ملتصقة بالمغفرة مصدراً وموراداً لأنهما يؤديان إلى نفس المقام[2] .

وأما الرابع وهو مقام الاسم (**الرؤوف**) ، فالرأفة : العودة بالفضل والإحسان إلى ذوي الاحتياجات ، وهنا تؤخذ من المعاني التي ظهرت من الآيات التي إذا أخذ منها جانب التشريع ، كانت بمعنى إخراج الناس من الظلمات الى النور ، وهذا المعنى لا يخرج عن كونه إمّا بأمرهم بالإستغفار لاستخراج آثار الذنوب والشرور من أنفسهم ، وهو راجع إلى مقام الاسم (الغفور) .

---

[1]) - المنافقون : ٨

[2]) – هناك فرق في البين لكن الأمر سهل .

وإمّا بأمرهم بصدّ النفس عن الذنوب ، أو نهيهم عن السوء والفحشاء لتتسور النفس من أن تدخل آثار الشرور إليها وهو راجع –كما ترى – إلى مقام الاسم العزيز ... ولا طريق ثالثاً في البين ، فلا يخرج هذا المعنى عن الاسمين (الغفور والعزيز) فهو في طولهما[1].

وأما الخامس وهو مقام الاسم (البَرُّ) ، فالبر : معناه المحسن، وهو بمعنى مواصلة الإفاضة والإعطاء منه – سبحانه – وأي إعطاء أولى من إزالة رواسب الذنوب من ذات الصدور ، وأي إنعام أرغد من عين تنام وعين الله تحرسها وتحميها ... وهو كما ترى ، فإن المعنى لا يخرج عن طور المغفرة والعزة بالمعنى المتقدم . وحاصل الأسماء هو اسمان وهما **[الغفور ، العزيز]**.

وعلى ضوء التحليل نعرف أن الاسمين (**الغفور** ، **العزيز**) ، اسمان متوسطان بين الأسم (الرحمن) الأعم منهما جميعاً { باعتبار أنهما في طوله } وبين الاسم (الرحيم) ، لأنه متأخر رتبة ، على أن هذين الاسمين المتوسطين موصولان بمقام الاسم (الرحيم) كاشفان عن معنى المقام باعتبارهما رابطة الإفاضة والإعطاء من الاسم (الرحمن) للوصول إلى رحمة الله الخاصة التي هي في رحاب الاسم (الرحيم) .

وهذان الاسمان يكونان واسطتين في السير بين الاسم (الرحمن) وبين الاسم (الرحيم) إذا تعلّق الإنسان المؤمن بهما كمحالّ لمحاصيل رضوانه – جلّت عظمته – ، فتأمّل .

ومن هذا المقام نعرف أين يكمن التسبيح بالحمد الخاص ، وما هي السُبُل إليه ..

[1]) – وسيأتي – إن شاء الله تعالى – في مرحلة قادمة أن مقام الاسمين (الرؤوف الرحيم) هو منبع السفر من الحق إلى الخلق ، فانتظر .

و فعلاً إذا كان الإسمان : (**العزيز** ، **الغفور**) ، موصلين من مقام الاسم (**الرحمن**) إلى مقام الاسم (**الرحيم**) كان لزاماً أنهما بمثابة الشروط الموضوعية للدخول إلى مقام الاسم (**الرحيم**) ، بل هما شرطان حقيقيان في أصل الموضوع في الوجود لمكان قوله {يتقون} السابق في قوله – عز وجل – : ﴿ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ... ﴾ وعلى هذا فالدخول إلى رحاب الرحمة الخاصة مشروط بصلة الاسمين الكريمين كشرط للدخول إلى كنفها .

فتحصّل من هذا التحليل : أن السير من مقام الاسم (الرحمن) إلى مقام الاسم (الرحيم) ، يتحقق بعد تعلق النفس بالتسبيح الخاص بمقام الاسم (الغفور) و مقام الاسم (العزيز) ، أي بالاستغفار والاستعزاز ، باعتبار أنهما شرطان أساسيان للدخول الى كنف { الرحمة الرحيمية }.

فيكون جدول السير على ماتقدّم كالتالي :

(الاسم الرحمن) ⬅ { (الاسم الغفور) / (الاسم العزيز) } ⬅ (الاسم الرحيم)

وفرق هناك بين أن يكون الاسم المتقدّم اسم ذات ، وبين أن يكون اسم فعل، فأنه على الأول يكون الثاني رابطاً في الوجود ، وعلى الثاني يكون التعلق بالأول شرطاً في التعلق بالثاني والدخول في رحابه .

ولابدّ أن يُعلم أن الانفصال هنا والبينونة بين الأسماء إنما كانت من الحيثية المفهومية التي هي مورد الإفاضة والإعطاء ، وعلى ما سيأتي – إن شاء الله – أن أسماءه – تعالى – عين ذاته عزّ وجلّ .

ومهما يكن من أمرٍ فإنّ مكسبة الحسنات يزيد النفس قوة ، ويعزز من سورها ، فكلّما استحصلت النفس على شيء من الحسنات ارتفعت به مقاماً عليّاً ، إذ يرجع تحصيل الحسنات – هنا – متأصلاً إلى مقام **[العزة الإلهية]** ، كذلك ﴿ ***إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ*** ﴾[1] إذ يرجع تحصيل الحسنات متأصلاً إلى مقام **[المغفرة الإلهية]** ...وهذان مقامان سائران إلى مقام الاسم (**الرحيم**) ، دون أن يتخلف أحدهما عن الآخر .

[1]) – هود : ١١٤

الاتصاف بالعزة والمغفرة .

بعد ذلك يكون من السهل علينا أن نقول إن الإنسان حينما يسير في طريق الاستعزاز ، ويقطع بذلك شوطاً عميقاً ... يصل إلى قناة الاتصاف بصفة العزة، فتكون صفته (العزة) .. وهذه العزة عزة لا استقلال لها إلا باستقلال العزيز العليم، كذلك صفة المغفرة للإنسان ، فهو يستغفر الله – سبحانه – الى أن يصل الى قناة الاتصاف بالمغفرة ، فيكون مظهراً من مظاهر اسم الله (الغفور) ، وتكون صفة ذلك الإنسان (المغفرة) ، ولكن كذلك لا استقلال لجميع صفاته بل لا استقلال لوجوده أبداً إلّا باستقلال خالقه وبارئه – تباركت آلاؤه – .

وهذه الأسماء التي يتصف بها الإنسان ، ويتسمى بها ، تقع فيها الحركة ، والحركة والتجدّد يستلزمان الحدوث ، كما أن الحركة لابد لها من فاعل وموضوع ، فهي مسبوقة بهما ، والحدوث هو المسبوقية بالغير...فاتصاف العباد بالصفات الإلهية لا يحمل على التشبيه أو التشبه ؛ لأنه ليس كاتصاف الواجب بها ...فإنها للعباد في نهاية أمرها حادثة .. متحركة.. محدودة ..ليس لها استقلال بحال من الاحوال .

((ان الموجودات غيره تعالى لا تملك ما تملك من هذه الكمالات بنفسها واستقلالها، وإنما تملكها بتمليك الله لها إياها)) [1].

هذا كله إنْ لم نستبق الأبحاث ونقول إن اتصاف الله – جلّ اسمه – بهذه الصفات (المغفرة والعزة ...) ، اتصاف اسميّ بحت ، وإن اتصاف الإنسان بها

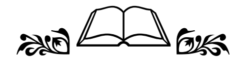
---

[1]) - الميزان ج ١ ص ١٥٧ .

اتصاف حرفيّ ... وأنه لا استقلال للمعنى الحرفيّ ... وأن وجوده نحو تعلق بصاحب الوجود.. على ما سيجيء توضيح ذلك إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك نعرف أن صفة الرحمة مرحلة عالية من صفتي المغفرة والعزة باعتبار المفهوم وخطوط رسم السير والسلوك لموضوع التسبيح بالحمد الخاص ، ولذا أسمينا هذا النمط بالسير والسلوك الأسمائي .

ومن هذا التناسق الدقيق الجميل نعرف أن الهدف من لباس التقوى[1] هو التخلق والتجمّل بأسماء الله – تبارك وتعالى – ، كذلك لتكون النفس مظهراً لأسمائه تقدّست أسماؤه .



[1]) – يا بني آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) . الأعراف : ٢٦

تجسّد الأعمال

((و لكن يجب الانتباه إلى أنّ صحيفة أعمال الناس في يوم القيامة لا تشبه الدفتر و الكتاب العادي في هذا العالم، فهي مجموعة ناطقة غير قابلة للنكران، و قد تكون الناتج الطبيعي لأعمال الإنسان نفسه.

في كل الأحوال، نرى أنّ الآيات التي نبحثها تظهر أنّه علاوة على تدوين أعمال الناس في الكتب الخاصّة، فإنّ نفس الأعمال ستتجسّد هناك و ستحضر: وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً.

فالأعمال التي تكون على شكل طاقات متناثرة في هذا العالم و تكون محجوبة عن الأنظار و تبدو و كأنّها قد تلاشت و انتهت ، هي في الحقيقة لم تنته (و قد أثبت العلم اليوم أنّ أي مادة أو طاقة لا يمكن أن تفنى، بل يتغير شكلها دائما). ففي ذلك اليوم تتحوّل هذه الطاقة الضائعة بإذن الله إلى مادة، و تتجسّد على شكل صور مناسبة، فالأعمال الحسنة على شكل صور لطيفة و جميلة، والأعمال السيئة على شكل صور قبيحة، و هذه الأعمال ستكون معنا، و لهذا السبب نرى أنّ آخر جملة في الآيات أعلاه تقول: وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً لأنّ الثواب و العقاب يترتبان على نفس أعمال الإنسان))[1].

وهذا المعنى حاصل ما وصلنا من آثار مروية عن أهل بيت العصمة – سلام الله عليهم – .

((مفهوم إحاطة الخطيئة يعني انغماس الفرد في الذنب إلى درجة يصبح ذلك الفرد سجين ذنبه.

---

[1]) –الأمثل ج ٩ ص ٢٩١

بعبارة أوضح، الذنوب الكبيرة والصغيرة تبدأ على شكل «فعل» ثم تتحول إلى «حالة» و مع الاستمرار و الإصرار تتحول إلى «ملكة». و عند اشتدادها تغمر وجود الإنسان وتصبح عين وجوده[1]. عندئذ لا تجدي مع هذا الفرد موعظة ولا يؤثر فيه توجيه ولا نصح ، إذ أنه عمل عن اختيار على قلب ماهيته فمثلهم مثل دودة القز التي تلف حولها من نسيج الحرير حتى تمسي سجينة عملها))[2] .

((و لقد قلنا مراراً أن ما يلاقيه الإنسان من الأوضاع والحالات، و من الثواب و العقاب في الحياة الآخرة ليس في الحقيقة سوى أفكاره و أعماله وتصرفاته المجسمة التي قام بها في هذه الحياة الدنيا، فهما وجهان لعملة واحدة، إنه تجسم صادق و دقيق لما كان ينويه أو يعمله هنا ليس إلّا.

و بعبارة أخرى: أن لكل ما يفعله الإنسان في هذه الحياة آثاراً واسعة تبقى في روحه، و قد لا تدرك في هذه الحياة، و لكنها تتجلّى- بعد سلسلة من التحولات- في الآخرة، فتظهر بحقائقها الواقعية، و حيث إن جانب الروح يكون أقوى في الآخرة، إذ تشتد حاكميتها وسيادتها على الجانب الآخر من الكيان البشري من هنا يكون لتلك الآثار انعكاساتها حتّى على الجسد، فتبدو الآثار المعنوية للأعمال محسوسة كما يكون الجسد محسوساً لكلّ أحد.

فكما أن الإيمان و الاتحاد يوجبان الرفعة و بياض الوجوه في هذا العالم، و يوجب العكس العكس، أي أن الكفر و الاختلاف يوجبان للأمة الكافرة المتفرقة سواد الوجه و الذلة، فإن هذا البياض و السواد (المجازيين) في الدنيا يظهران في الآخرة

[1]) – هذا بناءاً على تصوير علماء الأخلاق ، وهي طبقاً لملاحظاتهم حول النفس الإنسانية . وللنظرية المبحوثة تقرير آخر ، والأمر سهل .

[2]) - الأمثل ج ١ ص ٢٨١

بصورة حقيقية حيث يحشر المؤمنون المتحدون المتآلفون بيض الوجوه، بينما يحشر الكافرون المتفرقون المتخاصمون سود الوجوه.

و تلك حقيقة أشارت إليها آيات اخرى في القرآن الكريم في شأن من يتمادى في المعصية و يأتي بالذنب تلو الذنب، و الإثم بعد الإثم إذ يقول سبحانه: كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً.

و يقول في شأن الذين يفترون على الله الكذب وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّة.

و كلّ هذه الأمور هي المردودات و الآثار الطبيعية لما يأتيه الإنسان في عالم الدنيا من الأعمال)) [1]

(**«رأي العلماء في الثواب و العقاب»**

للعلماء آراء مختلفة في الثواب و العقاب:

١- يعتقد البعض أن جزاء الأعمال الاخروي أمر اعتباري، مثل المكافأة و العقوبة في هذه الدنيا، أي كما أنّ هناك في هذه الدنيا عقاباً على كلّ عمل سيّء أقرّه القانون الوضعي، كذلك وضع الله لكلّ عمل ثواباً أو عقاباً معيّنين. و هذه هي نظرة الأجر المعيّن والجزاء القانوني.

٢- ثمّة آخرون يعتقدون أنّ النفس البشرية تخلق الثواب و العقاب، فالنفس تخلق ذلك في العالم الآخر دون إختيار، أي أنّ الأعمال الحسنة و الأعمال السيّئة في هذا العالم تخلق في النفس صفات حسنة أو سيّئة، وهذه الصفات تصبح جزءاً

[1]) - الأمثل ج ٢ ص ٦٤٠ - ٦٤١ .

متمكّناً من ذات الإنسان، وتبدأ هذه بإيجاد صورة تناسبها من السعادة أو العذاب.

فذو الباطن الحسن في هذا العالم يتعامل مع مجموعة من الأفكار والتصوّرات الحسنة، و الأشرار و الخبثاء مشغولون بأفكارهم الباطلة وتصوّراتهم الدنيئة في نومهم و يقظتهم.

و في يوم القيامة تقوم هذه الصفات نفسها بخلق السكينة و العذاب أو الشقاء و السعادة. و بعبارة أخرى أنّ ما نقرأه عن نعم الجنّة وعذاب جهنّم ليس سوى ما تخلقه هذه الصفات الحسنة أو السيّئة في الإنسان .

٣- فريق ثالث من كبار علماء الإسلام اتّخذوا سبيلا آخر دعموه بكثير من الآيات و الأحاديث. يقول هؤلاء: إنّ لكلّ عمل من أعمالنا- حسناً كان أم سيّئاً- صورة دنيوية هي التي نراها، و صورة أخروية كامنة في باطن ذلك العمل. و في يوم القيامة، و بعد أن تكون قد طرأت عليه تحوّلات كثيرة، يفقد صورته الدنيوية و يظهر بصورته الأخروية فيبعث على راحة فاعله و سكينته، أو شقائه وعذابه.

هذه النظرة، من بين النظرات الأخرى، تتّفق مع كثير من آيات القرآن، و بناء على ذلك، فإنّ أعمال الإنسان - و هي مظاهر مختلفة من الطاقة - لا تفنى بموجب قانون بقاء «المادة/ الطاقة» وتبقى أبداً في هذه الدنيا، على الرغم من أنّ الناظر السطحي يظنّها قد تلاشت.

إنّ بقاء هذه الأعمال بقاء أبدي يتيح من جهة أن يراها الإنسان عند محاسبته يوم القيامة و لا يبقى له مجال للإنكار، كما يتيح للإنسان من جهة أخرى أن يعيش يوم القيامة بين أعماله، فيشقى أو يسعد. و على الرغم من أنّ علم

الإنسان لم يبلغ بعد مرحلة اكتشاف الماضي، إلّا للحظات قليلة سابقة، فممّا لا شكّ فيه أنّه لو تمّ صنع جهاز أدقّ وأكمل، أو لو كانت لنا «رؤية» و «إدراك» أكمل لاستطعنا أن نرى و ندرك كلّ ما حدث في الماضي. "ليس هناك ما يمنع أن يكون جانب من الثواب و العقاب ذا طابع توافقي"))[1].

وأنت خبير في كون هذه القبسات النيّرة تؤيد القول : أن النفس تنفعل بفعل الأفاعيل فيلحقها بوجودها الاشتداد أو يلحقها بذلك التضعف ، فكلّما عملت عملاً انفعلت بلونه وطبيعته ، وهذا الانفعال هو حدوث صورة للنفس من سنخ ذلك الفعل ، إن حسناً ترشحت منه صورة حسنة ، وأن سيّئاً ترشحت منه صورة سيئة .. حتى تتوارد على النفس أصنافاً من الصور بفعل أفاعيلها .. فتنقلب النفس نسخة من الأفاعيل .

فالنفس عبارة عن موجود سيال متحرك ، وحقيقة تحركها بتناوب الصور عليها .

وكل صورة من الصور بطبيعتها محدودة بحدود العمل المرشِّح لها ، وتعتبر الصورة الواحدة – مثلاً – بمثابة الحركة الواحدة ، فهي مقطع خاص من الحركة ، ثم تليها صورة واحدة من الفعل الواحد فتضاف إلى الصور السابقة ، ويضاف المقطع من الحركة إلى مقطع آخر ... حتى تصل بتوارد الصور الى الهيئة التي تناسب وجهة أفاعيلها .

واعلم أن لكل نفس صورة نوعية بها تكون النفس هي هي ، وهذا تعيّن خَلقيّ فطريّ ، لولاه لما كان للنفس شيء من الوجود .

---

[1]) - الأمثل ج ٢ ص ٤٦٢ .

وكـون الصـور الـتي تتـوارد علـى الـنفس تتـوارد عليهـا لتعيّنهـا بعـد إبهامهـا و محاضـة قوتهـا ، وهـو تعـيّن غـير التعـيّن ، والهويـة المسـتقلة للـنفس بأصـل وجودهـا غـير الهويـة المتحصـلة مـن فعـل الأفاعيـل ، فكـون الـنفس لا هويـة لهـا وهـي محـض قـوة ..ذلـك قبـل فعـل الأفاعيـل بغـض النظـر عـن فعليّتهـا بأصـل وجودهـا كوجـود لـه ماهيـة متحصـلة ، فـالتعيّن هـذا غـير التعـيّن ذاك[1] .

ثم إن الحركة في النفس هي نفس الجوهر ، والجوهر هو نفس الحركه ، فالحركه والمتحرك شيءٌ واحد ، فإذا وردت صورة على النفس تكون النفس بذاتها حركة ، وتكـون الحركـة – حركـة الصـورة – بـذاتها هـي الـنفس ، أي : كـون وجـود الحركـة بنفسها وجود حركة ومتحرك بوجود واحد[2] .

ولا يفـترق تـوارد الصـور علـى الـنفس بـين وجودهـا في الـدنيا.. ووجودهـا في الاخرة ... بل تترتب عليها الصور بوجودها المطلق من كل ظرف .. نعم يشترط لتـوارد الصـور التشـريعية عليهـا سـبق صـور تكوينيـة[3] .. ومـن آثار تلـك الصـور البلوغ والعقل وغير ذلك مما يشترط في الإنسان كموضوع لهذا العمل او ذاك ...

وحاصل القول : هو أن الحركة في النفس هي حركة بتوارد الصور النوعيةعليها، أو قل هي حركة جوهرية تتشكَّل بعد مقاطع مــــن الحركات باشكال متنوعة ، وتظهر لها هيئات من أثر تلك الصور التي انطبعت في النفس ...

---

[1]) – وفرق بين المسار التكويني ، والمسار التشريعي .

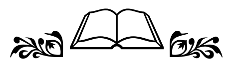
[2]) ـ هذا هو المعنى للحركة الجوهرية باصطلاح نظرية الربط الأكيد ، وسيأتي أكثر توضيح ،إن شاء الله تعالى

[3]) ـ هنا الصور التكوينية بالحركة الجوهرية باصطلاح صدر المتألهين رضوان الله عليه .

وقد تظهر – هناك – بعض آثار الهيئات كنزعات سبعية أو شهوية أو غضبية ... وهذه النزعات والنزوعات ليست صوراً نوعيةً للنفس ، بل هذه آثار تلك الصور ، فهي أعراض تابعة لذات النفس غير خارجة عن جوهريتها .

انظر إلى هذه الرواية ، وتأمّل فيها : (محمد بن الحسين، عن عبد الله بن جبلة، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام فلمّا كنا في الطواف قلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، يغفر الله لهذا الخلق؟ فقال: يا أبا بصير إن أكثر من ترى قردة وخنازير، قال: قلت له: أرنيهم قال: فتكلم بكلمات ثم أمرّ يده على بصري فرأيتهم قردة وخنازير فهالني ذلك، ثم أمرّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرة الأولى)[1] .

وهذه الرواية ظاهرة في كون النفس تتوارد عليها الصور النوعية بفعل الأفاعيل حتى تتلبّس بآخر ما يردها وما يتناسب وحصائلها... وعلى شاكلة هذه الرواية روايات كثيرة جداً .. وعلى أن ظرفها دنيويّ .... فتأمّل .



[1]) - بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٧٩ .

الصور النوعية تدخل النفس إحدى الولايتين

الدخول في ولاية الله ليس بلفظة تقال ، أو براية ترفع ، او بشعارات تُعلّم ، بل هو بتبع الهداية والعمل الصالح اللذين يضفيان على النفس صوراً نوعية في الوجود وبالوجود على حد قوله – تعالى –: ﴿ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ ﴾ [1] ، وقوله – تعالى –: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[2]، وقوله – تعالى –: ﴿ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[4] ،... هذه الآيات وغيرها الكثير من الآيات تشير إلى أن الصور النوعية الحسنة للنفس محور ولاية الله – سبحانه – على أن السير إلى الله على صراطه المستقيم هو الذي يؤدي الى الولاية الحقة .

كذلك التخلف عن ذلك الصراط بسلوك غير سبيل المؤمنين يؤدي إلى عبادة الجبت والطاغوت ، ويسير إلى ولاية الشيطان ... وكل ذلك مؤدّى الصور

[1]) - الشورى : ٨

[2]) - مريم : ٧٦

[3]) - البقرة : ١٥٧

[4]) - يوسف : ٧٦

النوعية للنفس ، وتابع لجوهرها ، لا أن هذه المسمّيات السيئة عرضيّة على النفس من الممكن أن تنفكّ عنها وتزول بغير المتابعة الحقّة للطرق الحقّة .

و كما ترى أن جميع النصوص في هذا الشأن تشير إلى أن الأولوية بإبراهيم .. وبالرسل والأنبياء جميعاً والدخول في ولايتهم .. إنما يكون بمتابعتهم والسير على خط منهجهم .. وهذا الامر جارٍ في العالمين جميعاً ، مهما كانت لُحمة التابع ، ومهما كانت قوميّته .

واعلم أن السنن الإلهية قاضية باتحاد العمل - أيّاً كان نوعه - مع النفس ، فتكون النفس هي العمل ، والعمل هو النفس ، فهو اتحاد وجودي بين النفس ووجود العمل ، على أن هذا العمل بالنظر الى مطلق العمل حسناً أو سيّئاً .

فإن كان العمل حسناً فإن النفس تتحد معه بترشح التسبيحات بحمده - تعالى - الخاصةِ بنوع العمل وماهيته ، ثم تضاف هذه التسبيحات إلى النفس لتضفي عليها صوراً نوعية خَلْقاً بعد خَلْق.. فتكون هذه التخلّقات[الأخلاق] المتواردة سائرة بالنفس من القوة إلى الفعل .

وهذا السير هو الذي يسمّيه القرآن «الاعتصام بالحبل» ، وهو نفسه الحركة الجوهرية المتعالية ، وكنّى عنها بالحبل ، لأنه يجذبهم الى الأعلى .. وهو معنى الحركة إليه - سبحانه - والحركة إليه هو الخروج من الظلمات الى النور ، فما يحصل للنفس من الحركة إليه سبحانه فهو تنوّر بأسمائه - سبحانه - ، وإضاءة لذلك الزيت الذي هو في قوة النفس ، كل ذلك بإذنه - تعالى - ويهديها صراطاً مستقيماً .

وقد أشار القرآن الكريم الى الارتباط بالله – عز وجل – بواسطة ذلك الحبل ، فقال – سبحانه –: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا ﴾ [1] .

وعن الإمام الباقر – عليه السلام – أنه قال:(آل مُحمّد هم حبل الله المتين الذي أُمر بالاعتصام به فقال : {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا})[2] وهم الرحمة الإلهية ثانياً ، كما كانوا هم العزة والمغفرة أولاً .

---

[1]) - آل عمران : ١٠٣

[2]) – نقلاً عن بحار الأنوار ج ٦٥ ص ٢٣٣

خلاصة الكلام

في

السير والسلوك الأسمائي

لا بدّ أنك علمت أن أصل البحث الذي قدّمناه آنفاً ، وهو الحديث حول السير والسلوك الأسمائي الذي يسير بنا من مقام الاسم «الرحمن» نحو مقام الاسم «الرحيم» بمقام الاسمين « الغفور ، والعزيز» .. يسير بنا من «الحق» إلىٰ «الحق» بـ«الحق» .

وطبقاً لبيانات آيات القرآن فإن الطريق في أعماقه ينعزل تماماً عن المنحى النظريّ ، ويسير بالنفس بحقيقة وجودها إلىٰ «الحق» ... فالنفس بطبيعة خلقتها مهيّأة لأن تسير من القوة المحضة إلى الفعلية المحضة ، وهي فعلية «الحق» أيْ : تحقُّق مقام الاسم «الحق» في النفس ، وكما تقدم أنه لا استقلال لها بحال من الأحوال .

وهذا السير سير حقيقي في الوجود وبالوجود بعد تحقق مقام الاسمين وهما «العزيز ، الغفور » في الطريق وبعد تلبّس العبد بصورة نوعية تطابق طريق الحق ، وهو الاتصاف بالاسمين اتصافاً حرفياً .. فالنفس تكون «عزيزة» بالعزة الحرفية ، كذلك تكون «غفورة»بالمغفره الحرفية .

وما معنى أن يقوم العبد يوم القيامة يشفع لثلّة من الناس قيساقط عنهم ذنوبهم وسيّئاتهم فيدخلهم الجنّة ، أليس هذا هو معنى المغفرة ، ومغفرة العبد – هنا – ليست مستقلة ، بل هي ظلٌّ لمغفرته – تعالى – وتجلٍّ لها .

هذا بالنظر إلىٰ مقام الاسم «الغفور» الحرفيّ ، وأمّا بالنظر إلىٰ مقام الاسم «العزيز» ، فسيجيء – إن شاء الله – طرف فيه في بيان قوله – تعالى –: «مالك يوم الدين» ، فانتظر .

ونلاحظ بعد النظر إلىٰ الاتصاف في الوجود أن مقامَي هذين الاسمين – الغفور والعزيز – يتجهان نحو مقام الاسم «الرحيم» ليندمجا معه اندماجاً وحدويّاً ، أيْ : بمعنى أن تكون العزة والمغفرة كلاهما في الوجود واحد ، وهو مقام الاسم «الرحيم» ، فتكون النفس التي اتصفت بالعزة والمغفرة اتصافاً حرفيّاً ، متصفة بصفة الرحمة ، وهو ظهور مقام الاسم «الرحيم» الحرفي إلىٰ الفعلية بالحق .

وليس معنى هذا .. أن الوصول إلى مقام الاسم «الرحيم» هو الوصول الأقصى ، بل قد يكون مقام الاسم «الرحيم» ، مقدمة لما بعده من مقامات تكون نتيجة وغاية لهذا المقام المقدّس[1] .

وذلك لأن الاتصاف بمقام الاسم «الرحيم» الحرفي ، هو مقدمة للوصول إلى مقام الاسم «الودود» ، ألا ترى أن مقام الاسم «الودود» متأخر رتبة عن مقام الاسم «الرحيم» – على منوال ما تقدم – كما في قوله – تعالى –:﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[2] ، فالتلبّس بمقام الرحمة الإلهية «الرحيمية» ، شرط للوصول إلى مقام الودّ الإلهي على حدّ قوله – تعالى

[1]) – فالمقام بحسب الإضافة كما هو ظاهر .

[2]) - هود : ٩٠

-:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] ، وقوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[2]، فاتباع الرسول وأهل بيته – صلوات الله عليهم – {وهم الرحمة الإلهية} مقدمة كشرط للوصول إلى الحبّ الالهيّ[3] .

وما ذكرناه من مقدمة مقام اسم ما لمقام اسمٍ آخر ، لا يعني أن السير في مقام هذا الاسم ، مقدمة لاسم واحد ينفرد به ، لأنه قد يكون السير في مقام الاسم مقدمة لمقامات كثيرة كما هو عليه مقام الاسم «الرحيم» ، فإنه مقدمة لاسم «الودود» – كما تقدم – ، كذلك هو مقدمة لمقام الاسماء «صٓ» و «قٓ» و «ألٓمٓ» و«كٓهيعٓصٓ» ، إلى غير ذلك ، فيكون مقام الاسم «الرحيم» مقدمة لمقام الحروف المقطّعة في الوجود وبالوجود ، وهي كالعلوم الحضورية ، بمعنى أنه إن وصل إلى مقامها واصل امتنع تعليمه إيّاها للزوم تحصيل الحاصل ، وإن لم يكن قد قطع المقامات للوصول إلى مقامها امتنع تعليمه إياها أيضاً لأنها مراتب في الوجود، لذلك تراها انحجبت عن العلم الحصولي .

---

[1]) - آل عمران : ٣١

[2]) - مريم : ٩٦

[3]) - كما هو ظاهر من جواب الطلب " يُحْبِبْكُمُ " .

قوله - تعالى - : (مالك يوم الدين) .

الملـــــك

والربـــــط الأكيد .

واعلم السير والسلوك الأسمائي طبقاً للمعالم الجديدة في القرآن لا يجد مقام الاسم «الرحيم» إلا مقدمةً وشرطاً للوصول إلى مقام الاسم «المالك» [مالك يوم الدين] ، فيكون الاتصاف بمقام الاسم «الرحيم» مقدمة للاتصاف بمقام الاسم «المالك» ، وكِلا الاتصافين حرفيّ ، فالذي فاز بمقام الاسم «الرحيم» بعد سير وسلوك في مقامي الاسمين «العزيز والغفور» ، سيفوز الفوز العظيم بأن يصل إلى المقام السامق ، فيكون في آخر المطاف من « المالكين ليوم الدين » بالملك الحرفيّ.

فالآية الشريفة محل البحث بمنزلة جواب الشرط او جواب الطلب على ما تقدم من أن الاسم المتقدم شرط للوصول إلى الاسم المتأخر إذا كان المتقدم اسم فعل ، ونستطيع أن نأخذ معنى من ذلك ، وهو أن المتأخر حاوٍ على ما للمتقدم لأنه ذو سعة تشمل الاسم المتقدم وتزيد عليه إذا كان الاسمان اسمي فعلٍ ، وهذا شبيه بأن يكون الاسم المتأخر أعم من الاسم المتقدم ، وعليه يمكن جواز التعذيب في الآخرة بمقام

الاسم «العزيز ذو الانتقام» من قبل «مالك يوم الدين» الحرفي ، وكذلك يمكن جواز المغفرة وإسقاط السيّئات والمؤاخذات لمن يشاء ويرضى ، على حدّ قوله – تعالى –:﴿ أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] ، ويكون مقام «مالك يوم الدين» الحرفيّ كمقام قوله – تعالى –:﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] ، وعلى حد قوله – تعالى –:﴿ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ ﴾[3] .

واعلم أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله – سبحانه – ورضاهم لرضاه –تقدّست أسماؤه – لأنها أسماء ظلّيّة لا حيف فيها ولا ظلم ولا جزاف .

واعلم أن الملك هنا في «مالك يوم الدين» الحرفيّ ، ليس ملكاً اعتبارياً ، وإنما هو ملك حقيقي ، والمالك الحقيقي يتصرف في ملكه كيف يشاء أنّى يشاء ، قال – تعالى –: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[4] ، وقوله – تعالى –:﴿ يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾[5] ، وقوله – تعالى –:﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ (لِلرَّحْمنِ) وَ كانَ يَوْماً عَلَى الْكافِرِينَ عَسِيراً ﴾[6] .

---

[1]) - المائدة : ٤٠

[2]) - آل عمران : ٢٦

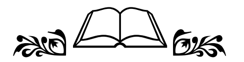
[3]) - ق : ٣٥

[4]) - السجدة : ١٧

[5]) - غافر : ١٦

[6]) - الفرقان : ٢٦

((وكذلك الآيات الناطقة في التوفي والخلق والرزق والتأثير والحكم والملك وغير ذلك فإنها شائعة في أسلوب القرآن، حيث ينفي كل كمال عن غيره تعالى، ثم يثبته لنفسه، ثم يثبته لغيره بإذنه ومشيته، فتفيد أن الموجودات غيره تعالى لا تملك ما تملك من هذه الكمالات بنفسها واستقلالها، وإنما تملكها بتمليك الله لها إياها))[1] .



[1]) - الميزان ج ١ص ١٥٧ .

انتزاع مفهوم الشفاعة من مقام الملك .

وقد تقدّم أن الاتصاف بمقام الاسم «الغفور» الحرفي يعطي الأهليّة لصاحبه أن يغفر لمن يشاء ويرضى، وهي القدرة على إسقاط الذنوب ومحو السيّئات من صقع وجود المغفور له – على منوال ما تقدّم – وهو معنى الشفاعة .

((الشفاعة على ما نعرف من معناها إجمالاً بالقريحة المكتسبة من الاجتماع والتعاون وهي من الشفع مقابل الوتر كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعد ما كان فرداً فيقوى على نيل ما يريده، لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها » من الأمور التي نستعملها لانجاح المقاصد، ونستعين بها على حوائج الحياة)) [1] .

وصاحب هذا المقام بالاسم « الغفور» مرتضى عند الله كما أنه مأذون له في التصرّف على حدّ ما بلغ في الوجود وبالوجود طبقاً لسنن لا تقبل التخلّف ولا الاختلاف .

وهذا الإذن شبيه بمحتوى قوله – تعالى –:﴿ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ ﴾[2] .

وليس أمر الشفاعة والتوسّط عرض يلحق ذات الشافع والمتوسط، وإنما هو نفس ذات الشافع بالاتصاف الحرفيّ الظلّيّ .

---

[1]) - الميزان ج ١ ص ١٥٧ .

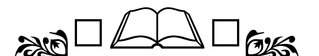
[2]) - ق : ٣٥

وهذا المالك بالملك الحرفيّ ، له أن يعذّب وله أن يغفر ، أي : فكما أنّ له أن يفعّل مقام الاسم «الغفور» ، كذلك له أن يفعّل مقام الاسم «العزيز ذو الانتقام» .. وفي كِلا الحالتين ليس هناك ظلم ولا حيف ولاجزاف .

وقوله – تعالى –:﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً ﴾[1]، وقوله – تعالى –:﴿ قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[2]، والمتّخذ عند الرحمن عهداً هو ذلك السالك من مقام الرحمة إلى مقام الملك – كما سبق – على حدّ قوله – تعالى –:﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3] .

كذلك قوله – تعالى –:﴿ وَ لا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنْ **شَهِدَ بِالْحَقِّ** وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

وإذا علمت أن الشفاعة غير خارجة عن مقام الاسم (**مالك يوم الدين**) **الحرفيّ** ، ظهر لك معنى الشفاعة ومتعلقها ؟ وفيمن تجري ؟ وممن تصح ؟ ، ومتى تتحقق ؟ وما نسبتها إلى الشافعين ؟.



[1]) - مريم : ٨٧
[2]) - البقرة : ١٢٤
[3]) - يوسف : ٩٠
[4]) - الزخرف : ٨٦

زيادة وتلخيـــــــــص .

فتحصّل من التأمّل في ما تقدّم :

أولاً : إن الملك [يوم الدين] حقيقي لا ينفكّ عن نفس المالك الحرفيّ ، وهذا معنى الغنى وبالأخير هو معنى الحياة الحقّة (الحيوان) .

ثانياً : إن إسقاط الذنوب وإسعاف الناس المستضعفة أمر غير خارج عن مفردات ملك المالك الحرفيّ .

ثالثـاً : إن الشـفاعة لا تخلـو أن تكـون هـي نفـس السِـفْر : - (**مـن الحـق إلى الخلـق بالحـق**) ، وهـذا يعـني أن الـنفس لا تنفـكّ عـن هـذا السِـفر، فهـو في الـدنيا (**سَـيْرٌ** ، **وسـلوكٌ**) ، وفي الآخـرة (**وصـولٌ وقـربٌ** ، **ومِلْـكٌ وشفاعةٌ**).

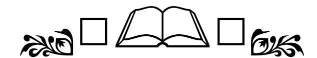
رابعـاً : إن قواعـد السـير والسـلوك الأسمـائي تريـد أن تخـرج عـالم الـدنيا مـن ملـك الـنفس ، لـذا قُيّـد الملـك بـ «يـوم الـدين» ، ليتهيـأ الإنسـان للإنتقـال إلى عـالم يكـون فيـه الملـك ، فالقيـد لبيـان عـالم تحصـيل الاسـم " المالـك" ، فالاتصـاف بالرحمـة الحرفيّـة دنيـويّ ، والاتصـاف بالملـك الحـرفيّ أُخرويّ .

فـلا أسـاس للملـك في عـالم الـدنيا ، أي : لا تكـون وأنـت في الـدنيا مـن حيـث مـا تملـك ظـلّاً لأسمـاء الله - تبـارك وتعـالى - لأن محـل الاتصـاف

بالمالـك الظلّـيّ الحـرفيّ هـو اليـوم الآخـر طبقـاً للسـنن الإلهيـة علـى حـد مايستشفّ من السير والسلوك الوجودي الأسمائي .

وعلى هذا الأساس كان ذمّ الدنيا والحثّ على لزوم الزهد فيها ، ودفع جميع ما لا ضرورة في ملكه ... إلى غير ذلك .

خامساً : هناك سنخية ظاهرة بين مقام (الحمد) ومقام الاسم (الحميد) ، ومقام النبيّ (مُحَمّد) وأهل بيته - صلوات الله عليهم أجمعين - وذلك لأن السير والسلوك الأسمائي : [***بالحَمْد من الحميد إلى الحميد***] ، فتأمّل .



□ زيادة وتنبيه :

إلى هنـــا يـــتمّ السـير والسـلوك بصـورته الأسمائيـة ، و تنقضـي مراحلـه مـن مقـام الاسمـين «الغفـور العزيـز» إلى مقـام الاسـم «الـرحيم» ثم إلى مقـام الاسـم «مالـك يـوم الـدين» ليبلـغ النتيجـة هنـاك في عالمـه، ويجـد مـا قـد حـازت إناؤه مـن الفضـل والكرامـة ، على حدّ قوله -تعالى -:﴿ فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها ﴾[1] .

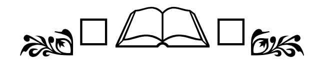
وكمـا رأينـا في هـذا السـير أنـه سـير معـرفيّ ينـال حظـاً كبـيراً مـن الجانـب الأسمـائيّ ويمزجهـا في نفـس وجـوده حـتى يصـل منـه إليـه تعالت أسماؤه .

ولا يخفـى علينـا أن الأسمـاء وإن اتصـفت بالطـول او بالعـرض بالنسـبة إلى بعضـها الـبعض ، إلا أنهـا جميعـاً متواجـدة بوجـود واحـد، أي : يكون أحدهما في بطن الاخر بالوجود وفي الوجود .

[1]) - الرعد : ١٧

هــذا تمــام القــول في الجانــب المعــرفيّ في المبــدأ والمعــاد الأسمــائي طبقاً لمنهج الأسماء الحسنى المتواجدة في سورة الحمد وهي الأمّ .

ولقــد رأينــا ونحــن نستكشــف بعــض المعــالم الرئيســة أنّ الســير الأسمــائي مــن [**المبــدأ إلى المعــاد**]ســير حقيقــي في النضــوج والكمــال بالحركــة الجوهريــة في الوجــود وبالوجــود .. وهنــا يكــون **الســير والســائر والمســار إليــه واحــد** .. علــى أن الأسمــاء لــيس فيهــا تثنيــة ، ولا تكــرار ، ولا تشــابه ، ولا تماثــل .. نعــم هنــاك ظلّيّــة وحرفيّة في الأسماء .



قوله – تعالى - : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

البعد العملي للسير والسلوك الاسمائي

أو

العطف المنبعي

اعلم أن القرآن قد استخدم طريقة شبيهة بطريقة اللّف والنشر المرتّب، وإن كان قد استخدم أسلوب اللّف والنشر كثيراً في طيّات آياته فعلاً ، كقوله –تعالى-:﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] . فارجع (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) إلى الليل ، وأرجع (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) إلى النهار ، وإلا كانت مراتب الألفاظ هكذا : جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وجعل لكم النهار لتبتغوا من فضله .

[1]) - القصص : ٧٣

وهذه الطريقة الشبيهة لفنّ اللف والنشر ، هي طريقة عطف الآيات اللاحقة على الآيات السابقة ، بعد إتمام الآيات السابقة ؛ وذلك لربط الجانب العملي بما يقتضيه الجانب النظري .

والذي يعنيه هذا الأسلوب ، هو كشف ماهية العمل الصالح ، وتحديد السير والسلوك ، وعطفه على مقام اسم يكون منبعه الأصيل لتعيين وحدة من وحدات مقام المبدأ والمعاد[1]لأن العبودية جوهرة كنهها الربوبيّة .

فالآية الشريفة : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ، مرتبطة ومعطوفة[2]على الآية «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» ، وهنا يكون التفسير متبادل ، بمعنى أن الآية المعطوفة تفسّر الآية المعطوفة عليها ، كذلك العكس ، وهنا يتبيّن أن العبادة – هنا – بمعنى الحمد ، وقصر العبادة هو نفسه قصر الحمد ، وهنا يتبيّن أنه عطف للتوحيد بالعبادة العملي ، على التوحيد بالعبادة النظري ،على نحو اقتضاء النظر للعمل ، وهذا العطف نصطلح عليه بـ« العطف المنبعي » ، أي : كون « الحمد لله » منبع التوحيد بالعبادة .

وعلى منوال ما تقدم ، يكون المنبع لقوله – تعالى –: «وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ، هو قوله – تعالى –:«رَبِّ الْعالَمِينَ» ، وهو منحصر بمقام التشريع – كما تقدم – في بيان الآية ، يضاف إليه أن الآية «الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» في طول قوله – تعالى – :«... رَبِّ الْعالَمِينَ» ، فالآية «الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» في بطن قوله – تعالى –:«رَبِّ الْعالمِينَ» .

[1]) - وتختلف سورة عن سورة في هذا الإسلوب .
[2]) – معطوفة على الآية أي : ملتفتة إلى معناها فهو مصطلح جديد .

وتحصّل أن «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» تعني توحيده – تعالى – بالتشريع ، أي : أنه لا مشرع إلا هو ، فلا يلتفت إلى تشريع ما سواه ، لأنه نقض لسير الحركة الجوهرية التي هي بالحمد العملي الذي هو لله لإنه ربٌ للعالمين ، وهو بالتالي نقض لشروط الاتصاف الحرفي بالأسماء ، فلا اتصاف حرفيّاً لمن أُشرب قلبه تشريع ما سواه تقدّست– أسماؤه – لاقتضاء النظر للعمل .

فارتباط قوله – تعالى –:«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ، بقوله – تعالى – :«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» ، من الوضوح بمكان .. ولا ريب أن تكون {العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة} ، وكيف لا يكون كذلك، وإنما يرتبط العبد بربه بواسطة العبودية ، إذ لا رابط له في الوجود غيرها .

وقد تقدم إن الفقير بنفس فقره يرتبط بمقام نور الحق المقدس الغنيّ بواسطة مقام الحمد .

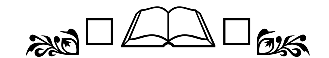
وتقدم – أيضا – أن الحمد حمدٌ عامّ صادر من الموجود الفقير مقوّم له ، واصل الى الوجود الغني ، إذ لا وجود لهم إلا بالتسبيح بحمده – جلّ ثناؤه – حدوثاً وبقاءاً .

وحمدٌ خاصّ ، وهو حمدٌ بالاختيار من الموجود الفقير الخاصّ ليربطه بمصدر الخيرات والكمالات .

وهذا المعنى يعطينا التناسق التامّ بين قصر العبادة لله ، وبين مقام الربوبيّة ، وهذا هو معنى قول الإمام الصادق – عليه السلام –: «العبودية جوهرة كنهها الربوبيّة»[1] . وكذلك قوله – تعالى –: «وإيّاكَ نَسْتَعِينَ» فإن مقام الاستعانة –

[1]) - جامع الشتات ،الخواجوئي ، ص ١٣٢ .

أيضا – جوهرة كنهها الربوبية ، فكما أن «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» فيها قصر العبادة عليه – سبحانه – ، كذلك – هنا – فإن «إِيَّاكَ نَسْتَعِينَ» ، فيها قصر الاستعانة عليه من حيث أنه ربٌّ للعالمين ، فالأُولى تدلّ على وحدة المعبود ، والثانية تدلّ على وحدة المشرّع ... فالعبارة واحدة إن أرجعناها إلى أصل المضمون .



إني أحب أن أطاع من حيث أريد

فلا يمكن السير الحق بدون تشريع إلهي يسير وفق سننه التي قدرها، على حد ما روي عن الإمام الصادق – عليه السلام –: (قال: امر إبليس بالسجود لآدم فقال: يا رب وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادة ما عبدك أحد قطّ مثلها. قال الله جل جلاله: إني أحب أن أطاع من حيث أريد)[1] .

وعلّة انحصار الإطاعة في ما يريده – تعالى – هي توقف السير والسلوك [الأسمائيّ] على المعرفة التامة بمقام الشريعة الإلهية .. إذ أن عمل العامل يقتضي هذا المقام أبداً .. لأنّ المقام تمّ تقنينه بإرادة الله وحكمته ، فمن رام أن يجتاز أيّ طريق لطاعته دون تشريعه – سبحانه – فلا يزيده كثرة السير إلّا بُعداً .

هذا كله مع غضّ النظر عن أنّ السنن الإلهيّة قاضية بشرك كلّ من اتخذ مشرّعاً من دون الله ، قال – تعالى – : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ

1) - بحار الأنوار ج ٢ ص٢٦٢ .

دُونِ اللَّـهِ وَ الْمَسِيحَ ابْـنَ مَـرْيَمَ وَ مـا أُمِـرُوا إِلاَّ لِيَعْبُـدُوا إِلهـاً واحِـداً لا إِلـهَ إِلاَّ هُـوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] .

((ومما لا شك فيه أن اليهود والنصارى لم يسجدوا لأحبارهم ورهبانهم، ولم يصلوا ولم يصوموا لهم، ولم يعبدوهم أبدا، لكن لما كانوا منقادين لهم بالطاعة دون قيد أو شرط، بحيث كانوا يعتقدون بوجوب تنفيذ حتى الاحكام المخالفة لحكم الله من قبلهم، فالقرآن عبر عن هذا التقليد الأعمى بالعبادة.

وهذا المعنى وارد فـي رواية عن الإمامين الباقر والصـادق - عليهما السلام - إذ قالا: " أما والله ما صاموا لهم ولا صلوا، ولكنهم أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا، فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون)) [2] .

((وفي حديث آخر، أن عدي بن حاتم قال: وفدت على رسول الله - صلى الله عليه وآله - وكان في رقبتي صليب من الذهب، فقال لي - صلى الله عليه وآله -: يا عديّ ألقِ هذا الصنم عن رقبتك، ففعلت ذلك، ثم دنوت منه فسمعته يتلو الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا فلما أتم الآية قلت له: نحن لا نتخذ أئمتنا أربابا أبدا، فقال: " ألم يحرموا حلال الله ويحلوا حرامه فتتبعوهم؟ فقلت: بلى، فقال: فهذه عبادتهم)) [3] .

((والجميل أنه ورد في رواية عن الصادق - عليه السلام - تعليقا على الآية بقوله: " أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون .

---

[1]) - التوبة : ٣١

[2]) - الأمثل ج ٦ ص ٩

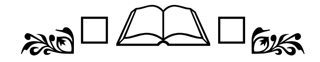
[3]) - الأمثل ج ٦ ص ١٠

وعن الصادق – عليه السلام– أيضا أنه قال: " من أطاع رجلا في معصية فقد عبده ")) .

((قوله تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم» الأحبار جمع حبر بفتح الحاء وكسرها وهو العالم وغلب استعماله في علماء اليهود والرهبان جمع راهب وهو المتلبس بلباس الخشية وغلب على المتنسكين من النصارى.

واتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله هو إصغاؤهم لهم وإطاعتهم من غير قيد وشرط ولا يطاع كذلك الا الله سبحانه)) [1].

وهو كما ترى فإن العبادة والاستعانة بهذا المعنى ملتصقان من جميع الجهات صدوراً وورودا ً .



[1]) - الميزان ج ٩ ص ٢٤٥ .

التشريع الإسلامي

وحياة النفـــــــس

غير خفيٍّ – ممّا تقدّم – أن التشريع الإسلامي هو إفاضة الحياة بالصور النوعية على مستحقّيها العاملين،قال – تعالى –:﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1] .

فالسّير على خط التشريع الإلهيّ سير في طريق الحق للحصول على الحياة القصوى ، قال – تعالى –:﴿ وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ، إلى غير ذلك من الآيات التي تشير إلى أن النفس الإنسانية تحصل على مقام الحياة الحقّة ، وأن الحياة الأخرويّة هي نوع ربط خاصّ بين العبد وربه تتحصّل بمتابعة التشريع الإلهي .

وممّا ذُكر نكتشف المقابلة الحقيقيّة بين المنهج الرباني ، والمنهج البشريّ ، فهذه المقابلة ، كالمقابلة بين المادة الحية ، وبين المادّة الميتة ، فهي نفس المادّة ، وبعناصر واحدة ، ولكنّهما متقابلان تقابل الوجود والعدم .

ومن تَبِعَ تشريعاً لم يأذن به الله – سبحانه – فمثله « كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » ، ﴿ وَ ما

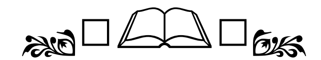
---

[1]) - الأنفال : ٢٤

[2]) - العنكبوت : ٦٤

كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾[1] .

ولا يخْفى أن سبب التلكّؤ في متابعة الشريعة الإسلامية ، وعدم الانسجام معها ، كلّه تابع للصور النوعية في النفس ، فإن كانت النفس تحتوي على صورٍ سيئةٍ ، مالت إلى الطبع السيّء ، وإن كانت تحتوي على الصور النوعية الحسنة كانت منسجمة بمقدار ما لها من كمال ؛ لأنه بالتالي الانسجام : انسجام بين وحدات السنن الإلهية .



[1]) - الأحزاب : ٣٦

المرجعية الصالحة

في سورة الحمد

((إن أقدم وثيقة علمية في الفكر الحديثي هي ما رواه الشيخ الكليني في كتاب "الكافي": عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن اليماني عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي: قال: قلت لأمير المؤمنين – عليه السلام – : إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن، وأحاديث عن نبي الله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله – صلى الله عليه وآله –، أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟!.

قال: فأقبل – عليه السلام – عليَّ فقال: قد سألت فافهم الجواب:

إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله – صلى الله عليه وآله – على عهده حتى قام خطيباً فقال:

«أيها الناس قد كثرت علي الكذابة، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، ثم كذب عليه من بعده.

وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

١ – رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله – صلى الله عليه وآله – متعمداً.فلو علم الناس أنه منافق كذاب

لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله – صلى الله عليه وآله – ورآه وسمع منه فيأخذون عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال تعالى: «وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم»، ثم بقوا بعده – صلى الله عليه وآله – فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان، فوفوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله.. فهذا أحد الأربعة.

٢ – ورجل سمع من رسول الله – صلى الله عليه وآله – شيئا لم يحمله على وجهه، ووَهِمَ فيه، ولم يتعمد كذباً، فهو في يده، يقول به، ويعمل به، ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله "صلى الله عليه وآله ".

فلو علم المسلمون أنه وَهِمَ لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وَهِمَ لرفضه.

٣ – ورجل ثالث سمع من رسول الله – صلى الله عليه وآله – شيئاً أمر به، ثم نهى عنه، وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شئ، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ.

فلو علم أنه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

٤ – وآخر رابع لم يكذب على رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، مبغض للكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسوله – صلى الله عليه وآله –، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع، لم يزد فيه ولم ينقص، وعلم الناسخ والمنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فإن أمر النبي – صلى الله عليه وآله – مثل القرآن، ناسخ ومنسوخ، وخاصّ وعامّ، ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله – صلى الله عليه وآله – الكلام له وجهان: كلام عامّ وكلام خاصّ

مثل القرآن، وقال الله تعالى في كتابه: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»، فيشتبه على من لا يعرف ولم يدْرِ ما عنى الله به ورسوله "صلى الله عليه وآله ".

ليس كل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله – كان يسأله عن الشئ فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطاري فيسأل رسول الله – صلى الله عليه وآله – حتى يسمعوا .

وقد كانت هذه الرواية الشريفة المنطلق الواعي لتدارس الفكر الحديثي وتوالده))[1] .

وعلى ضوء هذا تشكّلت حلقات الدروس ، وبدأت الدراسات الدقيقة للفكر الديني في جميع جوانبه .. ليسير التشريع الإسلامي وجميع ما له صلة به طبقاً لقوانين وقواعد مستمدّة من منبعها الأصيل في استنباط الفتاوى والأحكام ، وذلك وبعد اطلاعهم على أحاديث أئمتهم – عليهم السلام – فقد كانوا بدورهم يهتمون كل الاهتمام بحفظ الحديث حفظ دراية ورعاية ، وكان خطّها الرئيس في ذلك الوقت ، هو الإهتمام بتعقّل الروايات والتروّي في الأحاديث ، كما عن أمير المؤمنين – عليه السلام – : قال (اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فإن رواة العلم كثير و رعاته قليل)[2] .

و((قال – عليه السلام– : إذا سمعتم من حديثنا ما لا تعرفون فردوه إلينا وقفوا عنده، وسلموا حتى يتبين لكم الحق، ولا تكونوا مذاييع عجلى))[3] .

---

[1]) - أصول الحديث ، الشيخ عبد الهادي الفضلي ، ص ٢٢

[2]) - بحار الأنوار ج ٢ ص ١٦١ .

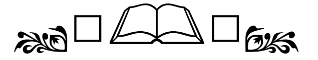
[3]) - بحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٩.

إلى غير ذلك من الروايات والقصص التي تنطوي على ما شاكل ذلك .

وهذا ما جعل من موقع هذا المقام مركز اهتمام المذهب الشيعيّ .

فالذين يسيرون سير الحق هم أصحاب مقام « المرجعية الصالحة » ، وهم أُولئك الذين أسّسوا للفكر الحديثيّ قواعد وأسساً ومبادئ عامّة ليتعاملوا مع المرويّات من الأحاديث طبقاً للبدايات الرائدة التي وضعها أئمة أهل البيت – عليهم السلام – على حد قوله – تعالى – : ﴿ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ **بِماءٍ مَعِينٍ** ﴾[1] .

وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ **الرَّحْمنُ** آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ **تَوَكَّلْنا** فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي **ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾[2] .



[1]) - الملك : ٣٠

[2]) - الملك : ٢٩

قوله – تعالى - : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ .

الآية [اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ]

تنعطف على الآية { الرحمن الرحيم }

بالعطف المنبعي

لا خفاء في ربط قوله – تعالى –: « اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ » بقوله – تعالى – : « الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » ، بعد أن عرفنا من قبل أن السير من مقام الاسم « الرَّحْمٰن » ، إلى مقام الاسم « الرَّحِيم » سير بمقام "الرسالة الالهية" بقيادة إلهيّة منهجية تتمثّل بمقام «الرّسول» أو بمقام «النّبيّ» أو بمقام «الإمام» .

وأيضاً بعد أن اتضح لنا أن السير إلى مقام الاسم « الرَّحِيم » سير حقيقيّ في مقامَي الأسمين « الغفور والعزيز » .. وأن هذا السير هو "الاتصاف الحرفيّ" بمقام الأسمَين ، فإن قوله – تعالى –: «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» ، طلب الهداية إلى هذا المقام الشريف ، وهو الاتصاف بمقام الاسم «الرَّحِيم».

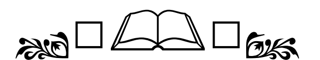
واعلم أن صيغة الدعاء التي جاءت بها الآية الكريمة هي إشارة لزومية إلى كون السير من مقام الاسم (الرحمن) إلى مقام الاسم

(الرحيم) لا ينفك أبداً عن الدعاء ، على منوال قوله - تعالى -: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلتَ إِلَيَّ مِن خَيرٍ فَقِيرٌ ﴾[1] . فالدعاء لا ينفكّ عن تشخص الإنسان المؤمن أبداً ، بل هو من مقوماته الوجودية .

وكل ما يناله المخلوق منه - تقدّست أسماؤه - فهو عطاء ومنّة وهبة ورزق وإحسان وإكرام وحبوة ... وإذ ليس هناك حق من دون ذلك .

واعلم أن كل متّصف بمقام الاسم « الرحيم » اتصافاً حرفيّاً هو بحد ذاته "صراطٌ مستقيمٌ" .

وبهذا نعلم أن "الصراط المستقيم" ذو مراتب بقدر ما للنفس من منزلة في مقام الاسم « الرحيم » .



[1]) - القصص : ٢٤

حركة النفس

إلى الصراط المستقيم

حركـــــة جوهـــريــــة

لا بُدَّ – قبل كل شيءٍ – أن نعلم أن حركتنا إليه – سبحانه – حركة تكوينيّة ليس لإرادة الإنسان فيها دخل ، لكن بارتباطها بأمر اختياريّ تعدّ أمراً اختيارياً ، على حد قوله – تعالى – : ﴿ يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾[1] ، وقوله – تعالى –: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[2] . وقوله – تعالى – : ﴿ صِراطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾[3] .

لكن هذه الحركة { الحركة الجوهرية }[4] والتي هي في الوجود وبالوجود – وضعت على مفترق طرق لما أن الله – سبحانه – أراد وقدّر أن يلبس النفس ثوب الاختيار ؛ « وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ » ، وقد عَهِدَ إلى بني آدم حيث قال : ﴿ أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[5] ، وقال : ﴿ قُلْنَا

[1]) - الانشقاق : ٦

[2]) - التغابن : ٣

[3]) - الشورى : ٥٣

[4]) - الحركة الجوهرية هنا باصطلاح نظرية الربط الأكيد .

[5]) - يس : ٦٠ - ٦١

اهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ ﴾[1] .

فبان أن هناك حركة حقيقية تكوينيّة ، وأنها تسير إليه – جلّت أسماؤه – لكنها تنشعب إلى شُعبتَين .. شعبة تؤدّي إلى طريق يتّجه نحو "الصراط المستقيم" ، وهو بطبيعته يسير بسالكه إلى كرامته ورضوانه – جلت عظمته – .

وشعبة ترتضي طريق ماوراء ذلك ، وهو بطبيعته يسير بها إلى غضبه –تعالى – وانتقامه والضلال البعيد .

ولكُلِّ شعبةٍ وطريقٍ سُبُل سالكة فيه ، ومن أظهر سُبُل "الصراط المستقيم" سبيلان : سبيل « العزة » ، وسبيل « المغفرة » ، وهما بالرجوع إلى حقيقتهما سبيلٌ واحدة ذات حيثيتين[2] .

وبتمام الاتصاف بمقامَي الاسمين « العزيز والغفور » ، يتحصّل في النفس الاتصاف بمقام الاسم « الرحيم » ، وهو "الصراط المستقيم" ، وقد اتصف بذلك المقام سيد الخلق – صلوات الله عليه وعلى آله – ، قال– سبحانه – : ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾[3] .

---

[1]) - البقرة : ٣٨ - ٣٩

[2]) – على مبنى النظرية .

[3]) - التوبة : ١٢٨

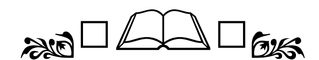
وعلى هذا فإن السبيل - وهو السير بمقامَي الاسمين "الغفور والعزيز" - قد يجامع الظلم والنقص ، بخلاف "الصراط المستقيم" - وهو الاتصاف بمقام الاسم "الرحيم" - فإنه لا يجامع الظلم والنقص ، وذلك لأن السير في السُبُل خروج من الظلمات الى النور شيئاً فشيئاً، وأما الهداية الى "الصراط المستقيم" فهي بمعنى الدخول في رحاب النور ، على حد قوله - تعالى - : ﴿ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]، وقوله - تعالى - : ﴿ وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[2] .

ومن المعلوم أن هؤلاء - وهم أصحاب الصراط المستقيم - هم أصحاب الهداية الثانية [3]، وإليهم أشار - سبحانه - في كتابه فقال: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾[4] ، وقال - جلّ شأنه - : ﴿ وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقامٍ ﴾[5] ، إلى غير ذلك .

وقوله - تعالى - : ﴿ كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[6] ، فيه أن إضافة مقامي الاسمين « العزيز الحميد » إلى «صراط» ظاهر بعد أن عرفنا أن "الصراط المستقيم" هو السير بمقامي الاسمين

[1]) - المائدة : ١٥ - ١٦
[2]) - يوسف : ١٠٦
[3]) – { ثم إن الهداية الثانية لما كانت بالقرآن فالهداية الأولى قبل القرآن و بسبب سلامة الفطرة} الميزان ج ١ ص ٤٤
[4]) - الإسراء : ٩٧
[5]) - الزمر : ٣٧
[6]) - المائدة : ١

"العزيز والغفور" .. والإشارة إلى مقام الاسم « الحميد » أيضا واضحة حيث أن الصراط المستقيم مسلوك إليه عن طريق التسبيح بحمده - تعالى - بالمعنى الخاص للتسبيح - كما تقدّم - وهو ربط لمقام الاسم « العزيز » بمقام الاسم « الحميد » ، لأن مقام « الغني الحميد » مصدر سبل الصراط على ما سبق ، وعلى حد قوله - تعالى - : ﴿وهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَ هُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ ﴾[1] . فانظر فإنه - سبحانه - لم يذكر مقام "العزة" لأن الهداية هنا هي تبيان للرابطة الوجودية بين الهادي والمهتدي بواسطة مقام التسبيح ، ولأنه ليس هنا إخراج للناس من الظلمات الى النور ، بخلاف الآية السابقة فإنها كانت في بيان أمر يحتاج إلى مقام "العزة الإلهية" وربطها بمقام الحمد للإشارة البطنيّة إلى مقام الاسم " الغني " حتّى تستبين سُبُل هداية الفقير الأسمائية بالوجود وفي الوجود ، لأنه بالتالي هو : [***الغني الحميد ذو الرحمة***] ، فتأمّل .



[1]) - الحج : ٢٤

قوله – تعالى - : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

الآية تنعطف على { مالك يوم الدين } بالعطف المنبعي

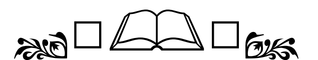
الآية الشريفة وأن كانت تفسيراً وبياناً لـما قبلها – على ما قيل من أنه تفسير بعد إبهام – لكن الآية تريد أن تكشف صورة عن مسألة اليوم الآخر ، ومعنى هذا أن بين الآية محل البحث وبين الآية « **مالك يوم الدين** » { عطف منبعيّ } .. وعلى هذا المبنى يكون قوله – تعالى – : «اهدنا الصراط المستقيم » هو مقام الاسم "الرحيم" في الحياة الدنيا ، على أن يكون هذا الصراط طريق سير وسلوك .

وأمّا قوله – تعالى – : « صراط الذين انعمت عليهم » ، فهو مقام الاسم « مالك يوم الدين » ، في الأخرة ، على أن يكون الصراط صراط التحقّق

والتحصّل والاتصاف بمقام الاسم « المالك » ليوم الدين ، تحقّقاً وتحصّلاً واتصافاً حرفيّاً .

وبهذا يختلف الصراط المستقيم في الآية السابعة عنه في الآية السادسة ، وهو سبيل إذا كان قد اجتمع مع صراط الآخرة . وصراط إن نظر إليه بحدّ ذاته ، على حدّ قوله - تعالى - : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ **سُبُلَ السَّلامِ** وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلى **صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[1] ، وقد يرمز إليه بالرحمة الإلهيّة وهي الرحمة الخاصة بدلاً من الرمز إليه بسبل السلام للإشارة إلى أصل الربط ، على حدّ قوله - تعالى - : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي **رَحْمَةٍ مِنْهُ** وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ **صِراطاً مُسْتَقِيماً** ﴾[2] .

فبان بما تقدم أن الصراط مأخوذ بمعنى سبيل الحق ، ومأخوذ بمعنى الجزاء الحق ، على ما تعطيه الآيات من دلالة حول المطلوب ، وكل ذلك موكول إلى التدبّر والتأمّل في نفس الآية ومناسبات الحكم والموضوع ، وما تحويه من أدوات وما تنطوي عليه من أغراض ومقاصد ، وبالأخير فإن الحديث حول صراط الرحمة .. يختلف عنه حول صراط الملك والشفاعة اختلافاً كثيراً ، فتأمّل .



[1]) - المائدة : ١٦

[2]) - النساء : ١٧٥

وقوله - تعالى - [تتمّة الآية] :
(غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

تقدّم أن سورة الحمد انقسمت إلى فئتين :

فئة كانت قد تناولت الجانب المعرفيّ للمبدأ والمعاد (نظريّاً) ، وهو قوله – سبحانه – : « **الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين** » .

وفئة أُخرى تناولت الجانب المعرفيّ للمبدأ والمعاد (عمليّاً) ، وهو قوله – سبحانه – : « **إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم** » ، وعلى هذا الأساس فقد انقسم ما يقابل ذلك في ختام السورة المباركة أيضاً إلى جهتين :

فهم إمّا أنهم قد أنكروا الأبعاد النظرية للمعرفة الإلهية والسير إلى الحقّ – سبحانه – وهم الذين قد غضب الله عليهم ، قال – تعالى – : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾[1] ، وقال – تعالى – : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ ﴾[2] ، إلى غير ذلك ، وهو – كما ترى – ناظر إلى البعد النظري .

وإمّا أنهم قد انحرفوا عن مساره العمليّ – وإن لم ينكروا البعد النظري – وهو ظاهر على أن لا يتجاوزوه إلى حدّ الإضلال الإلهيّ ، فإنه يدخلهم إلى الغضب بعد الختم والطبع .

[1]) - الأعراف : ١٥٢
[2]) - الممتحنة : ١٣

ومن المصاديق الواضحة في أرض الواقع للمغضوب عليهم هم اليهود ، كما أن المصاديق البينة للضالين هم الذين قالوا إنا نصارى .. كما ورد بذلك الأثر.

والفرق واضح من الناحية العملية فإن رسوخ المغضوب عليهم في الوحل المهين له صورة نوعية لا تهوى وجود المؤمنين على وجه الأرض، بخلاف الضالين فإنهم وإن تحملت نفوسهم من الصور التي تحملهم في آخر المطاف إلى اليأس والقنوط من الرحمة ولكن تبقى لهم حصائلهم التي تميل بهم نحو الخير واحتوائه ، قال الله – تعالى – : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] .

وقد تحصّل مما تقدم أن اختتام الآية كان تلخيصاً لمعطيات السورة لكنّه تلخيص لآخر جولة وفي آخر مطاف ...

هذا خلاصة الكلام حول نظرية الربط الأكيد في القرآن .. وكم وفقت في تبيانها؟ لا أدري ... ولكن لا زلت معتقداً تماماً أنها تسير نحو تفسير حُسَيْنِيّ للقرآن .

وآخِرُ دَعْوانا أَنِ الحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العَالَمِيْنَ

[1]) - المائدة : ٨٢

المحتويات